كلية الاداب
قسم التاريخ
محاضرات مادة (تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر الراشدي و الاموي)
م.م. وداد محمد عبد الله
المرحلة الثانية (الصباحية و المسائية)
2025 – 2026
المحاضرة (7)

فتح العراق

بعد أن استقرت الجزيرة العربية تحت راية الإسلام عقب حروب الردة، وجّه الخليفة أبو بكر الصديق أنظاره نحو العراق، لما يمثّله من أهمية اقتصادية كبرى وعمق حضاري وتاريخي عريق، فضلًا عن أصالة عروبته وانتماء أرضه إلى جغرافية بلاد العرب. غير أن الطريق لم يكن معبّدًا أمام الفاتحين؛ فقد واجهوا تحديات جسيمة، إذ كانت تلك الخطوة الأولى في مسار الفتوحات الكبرى، في ظل حداثة التجربة وقلة الخبرة في إدارة هذا النمط من التوسع، إلى جانب الحرص على الالتزام بوصايا وتعاليم النبي ﷺ في مثل هذه المواجهات. وقد اصطدموا بتداعيات ومفاجآت لم تكن في حساباتهم، الأمر الذي جعلهم أحيانًا غير موفقين في تحقيق التوازن بين الحكمة والضرورة العسكرية، فنتج عن ذلك بعض الخروقات التي اختلف المسلمون بين مؤيد لها ومعارض.

1- الإعداد للفتح وتهيئة الجيش

استثمر الخليفة أبو بكر كل الإمكانيات المتاحة لتجهيز الجيش الإسلامي رغم محدودية الموارد، فحرص على إعداد قوة قادرة على مواجهة التحديات الكبرى، فاختار خالد بن الوليد لقيادة الحملة، مدعومًا بتعزيزات من المثنى بن حارثة الشيباني وعدد من القادة المتمرسين. وقد بلغ قوام الجيش نحو عشرين ألف مقاتل، جرى توزيعهم على فرق تكتيكية لضمان السيطرة على مختلف الجبهات. وقبل اتخاذ قرار الفتح، استشار أبو بكر كبار الصحابة، وكان الإمام علي عليه السلام من أبرز المؤيدين للمبادرة نحو العراق، معتبرًا أن دفع خطر الفرس قبل أن يهاجموا الدولة الإسلامية الناشئة خطوة استراتيجية لتحصين الأمة. وقد أخذ الخليفة بهذه الرؤية فأرسل خالد بن الوليد ليقود الحملة التي اعتبرت مرحلة تاريخية فاصلة مهدت لانهيار النفوذ الساساني في العراق.

2. معركة ذات السلاسل (كاظمة)

انطلقت جيوش المسلمين سنة 12 هـ إلى العراق، وكانت أول مواجهة كبرى هي معركة كاظمة، التي اشتهرت باسم ذات السلاسل لأن الفرس قيدوا جنودهم بالسلاسل حتى لا يفروا من المعركة. وكان قائد جيوش الفرس في هذه المعركة هو "هرمز"، وقد واجه خالد بن الوليد هذا الموقف بخطة ذكية، فاستدرج الجيش الفارسي إلى مواجهة مباشرة، ثم باغتهم بالكرّ والفرّ فقتل هرمز قائد الجيش في هذه المعركة وسرعان ما انهارت معنويات الفرس حين رأوا قائدهم صريعًا. وبذلك كانت ذات السلاسل أول انتصار كبير يحققه المسلمون في العراق، ففتحت الطريق أمامهم نحو مناطق أوسع.

بعد ذلك حاول الفرس جمع جيوش جديدة في منطقة المذار مستعينين بالقبائل العربية المتحالفة معهم، فدار صراع عنيف استمر ساعات طويلة. نجح خالد في توزيع الجيش إلى كراديس محكمة تطوّق العدو

تدريجيًا، فانتهت المعركة بانتصار ساحق وغنائم وفيرة، وأظهرت المذار ضعف ولاء القبائل العربية للفرس ما سهّل التقدم نحو قلب العراق.
ثم خاض المسلمون معركة الولجة ضد جيش فارسي جديد بقيادة "أندرزغر"، حيث وضع خالد خطة الكمين المزدوج إذ نصب جناحين مخفيين بينما واجه العدو في الوسط، فحين ظن الفرس أنهم منتصرون، باغتهم الجناحان فأطبق عليهم. كانت الولجة مذبحة عظيمة أنهارت فيها قوات الفرس وزعزعت سيطرتهم على العراق.
تجمعت قوات فارسية أخرى في منطقة "أُليس" قرب نهر الفرات، فدارت معركة ضارية عُرفت بـ"نهر الدم" لشدة القتال وكثرة القتلى وقد كان انتصار المسلمين في أُليس فتح الطريق نحو قلب العراق الجنوبي، مؤكدًا تآكل السيطرة الساسانية.
هذه الانتصارات المتتابعة فتحت الطريق إلى الحيرة نفسها. ولما رأى أهلها أن المقاومة لا طائل منها، فضّلوا الصلح على القتال، فدخلها المسلمون صلحًا، وأصبحت قاعدة إدارية مهمة لهم في العراق.
فتح الأنبار
بعد الحيرة، تقدّم خالد نحو الأنبار، وكانت مدينة محصنة تقع على الفرات. رأس حاميتها القائد الفارسي "شيرزاد" وأبدى مقاومة أول الأمر، لكن حصار المسلمين الشديد وضعف الإمدادات جعلاه يرضخ للصلح.
وأثناء هذا الحصار حدثت مناوشات حول أسوار المدينة، استخدم فيها المسلمون سهامهم بمهارة حتى أثخنوا جنود العدو. كان فتح الأنبار خطوة تالية طبيعية بعد الحيرة، إذ منح المسلمين سيطرة على خط استراتيجي على الفرات، وأمّن لهم طرق الإمداد من الجزيرة.

فتح عين التمر
لم يتوقف زحف المسلمين عند الأنبار، بل واصلوا مسيرتهم إلى عين التمر، وهي منطقة ذات موقع حيوي وتضم قبائل عربية متحالفة مع الفرس. هنا وقعت مواجهة حاسمة، إذ تحالف الفرس مع قبائل عربية لمواجهة جيش المسلمين لكن خالدًا واجههم بصرامة، وأوقع بهم هزيمة ساحقة. بعد الانتصار، دخل المسلمون عين التمر، ووجدوا فيها أسرى عديدين من أبناء القادة والرهبان، تم اطلاق سراحهم
ان فتح عين التمر أكد أن الفرس فقدوا القدرة على الاحتفاظ بحلفائهم العرب، وأن النفوذ الإسلامي يتسع بسرعة في العراق.

فتح دومة الجندل وما حولها
بعد عين التمر، اتجه خالد إلى مناطق أبعد مثل دومة الجندل وما حولها، حيث تحالفت بعض القوى العربية الموالية للفرس والبيزنطيين. ورغم بُعد هذه المناطق عن مركز العراق، إلا أن فتحها كان مهمًا لتأمين ظهر المسلمين وضمان خطوطهم الخلفية. وقد خاض المسلمون هناك معارك متفرقة انتهت بالسيطرة الكاملة على تلك المناطق

سقوط المدائن
بعد تثبيت الجيش في الجنوب والفرات الأوسط، توجه المسلمون نحو المدائن، العاصمة الساسانية. وقد كان المثنى بن حارثة مكلفًا بتأمين الضواحي الغربية للمدينة، وإقناع بعض الحاميات الصغيرة بالاستسلام لتسهيل سقوط المدينة.
دخل المسلمون المدائن بعد حصار طويل وتكتيكات متدرجة بين المفاوضات والضغط العسكري. وتمكنوا من السيطرة على القصور، وجمع الكنوز الساسانية، وتأمين الطريق نحو بقية العراق، مما عزز من قوة الدولة الإسلامية وسيطرتها على قلب الإمبراطورية الساسانية في العراق .

تثبيت الحكم الإسلامي

بعد السيطرة على المدن الكبرى، عمل الخليفة أبو بكر على تثبيت الحكم الإسلامي في العراق، من خلال:

1. **تعيين ولاة ومسؤولين أمينين لإدارة المدن، ومن بينهم المثنى بن حارثة في المناطق الحيوية.**
2. **تنظيم جمع الزكاة والجزية بما يحقق العدالة الاجتماعية.**
3. **إنشاء مراكز عسكرية على طول الحدود لضمان الأمن ومنع أي محاولات فارسية لاستعادة السيطرة.**

وقد ساعد المثنى بن حارثة في توطيد النظام في القرى والمدن، وإقناع السكان بقبول الحكم الإسلامي طواعية، مما سهّل استقرار المنطقة بسرعة نسبية.

أثر فتح العراق في الفتوحات المستقبلية

فتح العراق في عهد أبي بكر (رض)لم يكن مجرد فتح عسكري، بل كان أساسًا لتوسع الدولة الإسلامية لاحقًا. فقد أصبحت البصرة والكوفة قواعد انطلاق للفتوحات المستقبلية في فارس وبلاد ما بين النهرين، وساعدت على انتشار الثقافة الإسلامية والتجارة والعلوم في منطقة غنية بمقدراتها المادية والبشرية بالعلم والزراعة.

==========